غزوات الرسول

صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ وَفَتْحُ مَكَّةَ

إعداد : محمد عبد الله صالح

رسوم: ماهر عبد القادر

جميع الحقوق محفوظة

برقم إيداع: 2018/2467

المجد للنشر والتوزيع: 01006372799

صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ

فِي الْعَامِ السَّادِسِ مِنَ الْهِجْرَةِ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ مِنَ الْمَدِينَةِ مُتّجِهِينَ إِلَى مَكَّةَ لِأَدَاءِ الْعُمْرَةِ، وَلَمَّا عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَادِمُونَ لِلْعُمْرَةِ جُنَّ جُنُونُهُمْ وَأَقْسَمُوا أَنْ يَمْنَعُوا الْمُسْلِمِينَ مِنْ دُخُولِ الْكَعْبَةِ.

وَتَشَاوَرَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ الصَّحَابَةِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ لَقَدْ أَتَيْنَا لِأَدَاءِ الْعُمْرَةِ، فَلْنَمْضِ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ فَإِنْ قَاتَلُونَا قَاتَلْنَاهُمْ، لَكِنَّ نَاقَةَ الرَّسُولِ ﷺ بَرَكَتْ عِنْدَ مَكَانٍ يُسَمَّى الْحُدَيْبِيَةُ.

مَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحُدَيْبِيَةِ عِدَّةَ أَيَّامٍ، فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ عَدَدًا مِنَ الرُّسُلِ يَتَفَاوَضُونَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَمْرِ الرُّجُوعِ وَعَدَمِ دُخُولِ مَكَّةَ. وَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ إِلَى قُرَيْشٍ لِيَشْرَحَ لَهُمْ سَبَبَ قُدُومِ النَّبِيِّ ﷺ وَالصَّحَابَةِ وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ أَنْ يَسْمَحُوا لِلْمُسْلِمِينَ بِدُخُولِ مَكَّةَ دُونَ قِتَالٍ، وَلَكِنَّ قُرَيْشًا ظَلَّتْ تُمَاطِلُ عُثْمَانَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.

فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ أُشِيعَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ عُثْمَانَ قُتِلَ، فَبَايَعَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّحَابَةَ عَلَى قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ، حِينَئِذٍ خَافَتْ قُرَيْشٌ وَأَرْسَلَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ رَجُلاً يُسَمَّى سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو لِيَعْقِدَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ صُلْحًا.

فَاتَّفَقُوا عَلَى شُرُوطِ الصُّلْحِ، وَمِنْهَا: أَنْ يَرْجِعَ الْمُسْلِمُونَ هَذَا الْعَامَ وَيَعُودُوا فِي الْعَامِ الْقَادِمِ لِأَدَاءِ الْعُمْرَةِ.

وَأَنْ تَتَوَقَّفَ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ لِمُدَّةِ عَشْرِ سَنَوَاتٍ، وَأَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَحَالَفَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ فَلَهُ ذَلِكَ، وَمَنْ أَرَادَ التَّحَالُفَ مَعَ قُرَيْشٍ فَلَهُ ذَلِكَ.

حَزِنَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ عَلِمُوا بِهَذِهِ الشُّرُوطِ، وَظَنُّوا أَنَّهَا شُرُوطٌ ظَالِمَةٌ لَهُمْ، لَكِنَّ اللهَ تَعَالَى أَنْزَلَ سُورَةَ الْفَتْحِ الَّتِي تُبَيِّنُ أَنَّ هَذَا الصُّلْحَ فَتْحٌ وَخَيْرٌ وَنَصْرٌ لِلْمُسْلِمِينَ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح:١]

فَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ وَعَادُوا إِلَى الْمَدِينَةِ سَالِمِينَ.

فَتْحُ مَكَّةَ

نَقَضَتْ قُرَيْشٌ صُلْحَ الْحُدَيْبِيَةِ عِنْدَمَا اعْتَدَتْ عَلَى قَبِيلَةِ خُزَاعَةَ وَهُمْ مِنْ حُلَفَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَنْجَدَتْ قَبِيلَةُ خُزَاعَةُ بِالرَّسُولِ ﷺ، وَلَمَّا أَدْرَكَتْ قُرَيْشٌ أَنَّهَا أَخْطَأَتْ خَطَأً عَظِيمًا أَرْسَلَتْ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ لِيُجَدِّدَ الصُّلْحَ مَعَ الرَّسُولِ فِي الْمَدِينَةِ، لَكِنَّ الرَّسُولَ ﷺ رَفَضَ، فَرَجَعَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى مَكَّةَ خَائِبًا، وَظَلَّ الْمُشْرِكُونَ يَنْتَظِرُونَ قُدُومَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ فِي رُعْبٍ وَخَوْفٍ.

جَهّـزَ النَّبـيُّ ﷺ جَيْشًـا مِـنْ عَشْـرَةِ آلَافِ مُقَاتِـلٍ وَفِـي الْعَاشِـرِ مِـنْ رَمَضَـانَ مِـنَ السَّـنَةِ الثَّامِنَـةِ لِلْهِجْـرَةِ خَـرَجَ الْجَيْـشُ مِـنَ الْمَدِينَـةِ مُتَوَجِّهًـا إِلَـى مَكَّـةَ. وَصَـلَ النَّبـيُّ ﷺ وَالْمُسْـلِمُونَ إِلَـى مَكَّـةَ فِـي الْعِشْـرِينَ مِـنْ رَمَضَـانَ وَأَمَرَهُـمْ النَّبـيُّ أَنْ يَدْخُلُـوا مَكَّـةَ دُونَ قِتَـالٍ تَعْظِيمًـا لَهَـا وَتَشْـرِيفًا فَقَـالَ ﷺ: «مَـنْ دَخَـلَ دَارَ أَبِـي سُـفْيَانَ فَهُـوَ آمِـنٌ، وَمَـنْ أَغْلَـقَ عَلَيْـهِ بَابَـهُ فَهُـوَ آمِـنٌ، وَمَـنْ دَخَـلَ الْمَسْـجِدَ فَهُـوَ آمِـنٌ».

فَأَسْرَعَ النَّاسُ إِلَى بُيُوتِهِمْ يَخْتَبِئُونَ، وَامْتَلأَتْ شَوَارِعُ مَكَّةَ بِالْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ دَخَلُوهَا دُونَ قِتَالٍ سِوَى اشْتِبَاكٍ سَرِيعٍ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَبَعْضِ الْكُفَّارِ فِي جَنُوبِ مَكَّةَ.

وَحَطَّمَ النَّبِيُّ ﷺ الْأَصْنَامَ الَّتِي كَانَتْ تُحِيطُ بِالْكَعْبَةِ، وَصَعَدَ بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ فَوْقَ الْكَعْبَةِ وَانْطَلَقَ صَوْتُهُ بِالْأَذَانِ، فَاطْمَأَنَّ النَّاسُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَبَدَأُوا يَخْرُجُونَ مِنْ بُيُوتِهِمْ، وَيَقْبِلُونَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لهم: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟» قَالُوا: خَيْرًا أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. فَقَالَ: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ».

محمد
صلى الله عليه وسلم

وَأَقَامَ الرَّسُولُ ﷺ فِي مَكَّةَ تِسْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا يُعَلِّمُ النَّاسَ أَرْكَانَ الْإِسْلَامِ، وَيُرْسِلُ الْقَادَةَ وَالْفُرْسَانَ لِهَدْمِ أَصْنَامِ الْقَبَائِلِ الْمُجَاوِرَةِ.